



مهما انحسر سيعيش الشعر (لوحة للفنان إسماعيل الرفاعي)



الشعراء عادوا إلى ذواتهم



الشاعر ما زال له ما يقوله (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

بعد قرون طويلة من القصائد.. هل خفت صوت الشعر العراقي اليوم؟

شعراء يهربون إلى الرواية وآخرين يفضلون الصمت والشعر معزول بلا جمهور

مدعاة للتامل، وذلك من خلال احتكامها لبلاغة الصورة والمجاز البعيد، بعد أن ابتعدت، في نماذجها الأرقى، عن الضوضاء والثرثرة، ولكن بإضاءة أشد. ويضيف نويرة أن ما نظنه خفوتا في الشعر العراقي اليوم قد يعود سببه إلى ارتفاع أصوات الآخرين والأشياء من حوله، وإلى عنف الوقائع الجارية من حروب ونزاعات وما تركته من خراب عام اتسع ليشمل بلدانا بأكملها وليس العراق وحده.

سرعان ما يزوي فننتهي شاعريته سريعا، بل يكمن السبب في طبيعة متغيرات حياتنا سرعة أو ركودا، فلا نتقدم إلا لتراجع أكثر للوراء. وهو ما يجعل كثيرا من التجارب في حالة استنفار ظرفي واحتدام مصيري، فضلا عن كسل شعرائنا وشواعرنا عن البحث في التراث والتجارب الشعرية العالمية القديمة والمعاصرة عما هو جديد ومغاير.

وفي العقود الثلاثة الأخيرة تراجع دور الشعر في التأثير على مسار الحدث السياسي وتفاعلاته الاجتماعية وصار قضية شخصية لا يعول عليها بالنسبة إلى من يتحركون في الفضاء الواقعي بكل التحديات والأسئلة المطروحة عن جدوى الشعر وأهميته في الوقت الذي تزداد وتنوع مصادر المتعة والمعرفة ويضيق وقت الجمهور الذي لم يعد متخصصا ولا متوقفا على ثقافة نوعية في مجال الأدب وشكله الأكثر صعوبة وهو الشعر.

من أجيال، ومنذ انتقال العالم نحو الانفجارية الجديدة بما رافقها من تغيرات وتطورات وأحداث كبيرة انحسر دور الشعر، فضلا عن التراجع الذي يعيشه العراق في مختلف مرافق الحياة من أبسطها إلى أعدها. ويرى أن ذلك كله أسهم في أن يكون الشعر آخر شيء في سلم الأولويات، وانطلقت جذوة العناية بالشعر كله ولم يعد صالحا للتداول على مستويات عديدة، وربما اكتفى بحضوره الخجول في قاعات الدراسة الأكاديمية، يقابله إقبال منقطع النظير نحو الرواية لأسباب في الغالب غير فنية وغير جمالية، وهو ما ينطبق على كثير من بلدان العرب بلا استثناء.

لا يمكننا التطرق للحديث عن الشعر العربي بمعزل عن الشعر العراقي، الذي يمثل منذ صدر الإسلام ذروة القصيدة العربية في مختلف تحولاتها الشكلية والموضوعية والفنية والجمالية، منذ عصور الدولة العباسية وما عرفته من شعراء أمثال أبي العلاء المعري والمنتبسي والبحتري وصولا إلى شعراء الحداثة من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وما تلاهم من المجددين أمثال سعدي يوسف وسامي مهدي وسركون بولص وغيرهم كثير. ولم يتوقف الشعر العراقي عن العطاء وعن تمثيل جزء هام من الشعرية العربية كأفضل ما يكون، لكن يبدو أن واقعه اليوم تغير. فهل خفت الشعر العراقي؟ وما هي أسباب ذلك؟

سامي مهدي
ليست الرواية والكتابة الروائية علاقة بخفوت الشعر العراقي

محمد صابر عبيد
الرواية أكثر تداول وانتشارا واستجابة لطموحات مجتمع التلقي

محمد تركي النصار
الشعر الجاد صار نخبوا أكثر من أي وقت مضى

نادية هناوي
القصيدة لن تضعف بضعف الشعراء ولن تغيب بكثرة الروايات

فهمي الصالح
الشعر أصبح ذاتيا وفرديا أكثر مما هو عملية نتاج ثقافي

علي نويرة
الشعر هو العصب الحساس في وجدان الأمم وهويتها الفارقة

وتلفت إلى أن ركود القصيدة العربية الراهنة بحبوبة الرواية مجرد شماعة تحاول عبرها أن نجد الأعداء للشاعر، وليس للقصيدة التي لن تضعف بضعف الشعراء، ولن تغيب بكثرة الروايات، ثم لماذا نعزز للشاعر وهو يعجز عن اتخاذ القصيدة غاية ووسيلة، مبتعدا عن روح الشعر، مغترا بماديات الجوائز وطبيعة معايرها التي فيها التميز الإبداعي هو آخر ما يحسب له حساب، مقيدا لا يمكن وسيلة بها يحرك القاعدة الجماهيرية العريضة التي منها وإليها تكون لتجربته القوة والشموخ، ومن دونها تضمحل جذوة شعره ويبرد إبداعه مهما كان أصيلا.

ويؤكد النصار أن الشعر الجاد صار نخبوا أكثر من أي وقت مضى، وقل عدد القراء، وباستثناء بعض المؤسسات الأكاديمية الوفية لتقاليدنا، وهي قليلة جدا لدينا، لم يعد الاهتمام يصل إلى حده الأدنى. والقارئ يبحث الآن عن الوسائل السريعة معرفيا وجماليا. ويوضح أن ما يقوله لا يعني خفوت صوت الشعراء الحقيقيين، لكن المسافة صارت طويلة بينهم وبين القراء للأسباب والعوامل التي أشار إليها. ولا يظن أن انحسار دور الشعر مرتبط بالتوجه لكتابة الرواية، خصوصا أن عدد الشعراء العراقيين المشغولين بهذا الموضوع قليل بشكل عام.

ضعف الشعراء

تقول الناقدة نادية هناوي "ليس لتجربة شعرية أن تتلبور واضحة المعالم سوى تلك التي امتدتها الهومية بالأصالة، ومنحها التمرس والمران الطاقة التي بها يستمر الشاعر، متجددا في شعره وحيويا في قصيدته، فلا يكرر نفسه ولا يجتر إبداعه". وتتساءل هناوي "كم من شعرائنا وشواعرنا يتحقق في عطاءهم ذلك فينطبق عليهم هذا التوصيف؟".

وتجيب على تساؤلها "بالطبع لن نحتكم في الإجابة إلى الكم لأنه ليس مقياسا لأصالة التجربة الشعرية، كما لن نحتكم إلى ما يكتب من نقود أو شبيه نقود تفضل تفصيلا على وفق مقاسات الهوية والمزاج حيا وكرها، أو بحسب مؤديات المصلحة الأنية وغير الأنية، وإنما نحتكم إلى الفاعلية الجمالية التي تجعل الشعر يسري كالنار متغلغلا في تضاعف الحياة الراهنة ليكون جزءا منها، يساهم معها في دقائق الام أفرادها وكليات تحدياتها".

وتتابع قولها "على وفق هذا الاحتكام الأخير تكون المحصلة مخيبة، فبالرغم من الكثرة الكاثرة من شعراء العمود وغير العمود، فإن لا تجارب شعرية بالوصف الذي قدمناه سوى بضع بسيرة لا تتعدى أصابع اليد". وتتفي هناوي أن يكون سبب ذلك سطحية كثير من المحاولات الشعرية التي جعل خطابها أصفى، ومحوالاته أكثر

الشعر نخبوي

يرى الشاعر محمد تركي النصار أن صوت الشعر العراقي يظل قويا ومميزا منذ انطلاق حركة التجديد في أواخر أربعينات القرن الماضي على أيدي السياب ونازك البياتي، مروراً بتجربة سعدي يوسف والأصوات الستينية والسبعينية والثمانينية، حيث كانت التجربة الشعرية مرتبطة بمتغيرات الواقع السياسي والثقافي، وتمثل بالنسبة إلى الشاعر والقارئ معا قضية مهمة يثار حولها الجدل، وتسلط الأضواء، وتقام النشاطات والحلقات الدراسية بوصفها أمرا مهما ومؤثرا. ويتابع النصار أن "ذلك كان قبل ثورة المعلومات والانفتاح التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وما أحدثه ذلك من سرعة وتغيير حادين في طبيعة النظر إلى القضية الثقافية عموما، والأدب بشكله الأكثر شيوعا لدينا واعني به الشعر".

لكن مهدي لا يعتقد بأن للرواية والكتابة الروائية علاقة بهذا الموضوع. فغالبيت الشعراء الذين تخلوا عن الشعر واتجهوا لكتابة الرواية هم ذوو مواهب أدبية ضعيفة أصلا، فلم يفلحوا في كتابة أعمال روائية مهمة، وكانت حظوظهم في الرواية كحظوظهم في الشعر أو أدنى.

ويرى أنه إذا كان ثمة شاعر مهم أو أكثر قد حاول أن يجرب حظله هو الآخر في ميدان الكتابة الروائية فإننا لم نر منه حتى الآن عملا يستحق الاهتمام. هذا وليس في وسعه الحكم على ما يخبئه لنا المستقبل فتلك مجازفة لا يجرو عليها.

ويقول الناقد والشاعر محمد صابر عبيد إن الشعر الآن في العالم بأسره يتراجع قياسا بالرواية على سبيل المثال، لأن الرواية أكثر تداول وانتشارا واستجابة لطموحات مجتمع التلقي على اختلاف طبقاته، والعراق بلا أدنى شك جزء من هذا العالم حيث تتسيد الآن منصات التواصل الاجتماعي المشهد بقوة هائلة. ويضيف عبيد "لعل الشعر العراقي قد شهد أوج تآلقه منذ خمسينات القرن الماضي على جيد جيل الرواد وما تبعه

عواد علي
كاتب عراقي

يُنسب إلى محمود درويش القول "إذا أردت أن تكون شاعرا فكن عراقيا"، ويرى بعض النقاد والدارسين أن من غير الممكن الحديث عن الشعر العربي، قديمه وحديثه، من دون الحديث عن الشعر العراقي في كل الأزمنة. لكن ثمة من يقول إن صوت الشعر العراقي اليوم قد خفت، فهل مهد انتقال الكثير من شعراء العراق إلى الرواية الطريق للتخلي عن الشعر أم أن الواقع العراقي الراهن لم تعد تغفيه القصيدة؟

تراجع كلي

يرى الشاعر سامي مهدي أن صوت الشعر العراقي خفت منذ ما بعد الاحتلال عام 2003، ولم يعد كما كان عليه في النصف الثاني من القرن الماضي، لأسباب عدة متداخلة، أبرزها غياب الإعلام المبدعين، بحكم تقدم السن أو الوفاة، وعدم ظهور أصوات جديدة ذات مواهب إبداعية عالية تملأ الفراغ الذي أحدثته غياب الأسماء الأخرى.

